المرأة المسلمة

بين حق التعليم وضرورة العمل

للأستاذ الدكتور/ محمد محمد محمد عيسى*

مقدمـــة:

إن شريعة الإسلام اعتبرت المرأة مخلوقاً كامل الأهلية، ومحلاً للخطاب السماوي والمسئولية الفردية، ومساوياً للرجل في الحقوق الإنسانية العامة والموالاة الاجتماعية، وممارسة الإصلاح. قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾[1]. وقال سبحانه: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَـئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[2] .

من هذا المنطلق حرص الإسلام على تكوين المرأة من جميع الجوانب وأعطى لعقلها مكانة عليا، حيث أعطى لها حق التعليم والتثقيف واعتبر ذلك واجباً عليها، لأنها إذا تعلمت فقهت دينها وواجبها تجاه ربها وقامت بما يجب عليها.

وجاءت النصوص النبوية المؤكدة لهذا الحق إشارة إلى الذين يقصرون حق التعليم على الرجال دون النساء، وإلى الذين يرون أن المرأة ليست أهلاً لهذا الحق.

إن المرأة في عصر النبوة قد لاقت اهتماماً بالغاً من أجل التعليم والتفقه في الدين وممارسة دورها الحقيقي في الحياة لتكون شريكة للرجل في بناء المجتمع السليم.

وفي وقتنا الراهن تواجه المرأة المسلمة – خاصة بعد أن اجتازت المحن وواصلت التعليم إلى أعلى الدرجات – القضية التي شغلت الرأي العام وشغلت الأذهان، ألا وهي قضية نزول المرأة المتزوجة إلى العمل، وقد انقسم الناس فريقين بين متحمس للخروج ورافض له.

---

* الأستاذ بكلية الشريعة ـــ جامعة الإمارات العربية المتحدة.

(١) سورة النحل ، الآية (٩٧) .

(٢) سورة التوبة ، الآية (٧١) .

أمام هذا التناقض والاختلاف حول المرأة المسلمة بين حق التعليم وضرورة العمل، جاءت ورقة هذا البحث للوقوف على رأي الفكر الإسلامي المستنير لبيان أيهما على حق وأيهما على باطل أو كلاهما على باطل. وبالله التوفيق.

مكانة المرأة في الإســـلام:

مما لا شك فيه أن الإسلام شرع مركزاً للمرأة في الحياة، وجعل لها من الحقوق والواجبات ما لم تجعله شريعة سابقة، بل ضن عليها رجال بعض الأديان بأن تكون إنساناً، فاعتبروها حيواناً نجساً، أو إنها إنسان لا حيوان لكنها إنسان خلق لخدمة الرجل، ومنهم من جعل حياتها مرتبطة بحياة الرجل، فإذا مات الرجل أصبحت المرأة لا حق لها في الحياة فيحكم عليها بالموت معه، ومنهم من يقوم بقتلها وهي طفلة صغيرة خوفاً من الجوع والعار والنهب التي تقع أثناء الحروب، وكانوا يمنعون المرأة بأن تأخذ حقها من ميراث أبيها أو زوجها بل إذا مات زوجها يجعلون المرأة من ضمن الميراث، ولا حرية لها في اختيار زوجها.

ثم جاءت شريعة الإسلام السمحة لتجعل لها من الحقوق والواجبات مثل ما للرجل. فحرم الإسلام وأد البنات وأنذر الفاعلين بالمساءلة والعقاب، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ﴾[1] وقال سبحانه: ﴿ وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـــأً كَبِيراً ﴾[2].

ولقد روى الشيخان والترمذي عن عائشة – رضي الله عنها – عن النبيﷺ قال: « من بلى من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كن له ستراً من النار » ولمسلم والترمذي « من عال جاريتين حتى يدركا دخلت أنا وهو الجنة كهاتين » وقرن النبي بين إصبعيه[3].

وقد أوجب الإسلام نفقة البنت على أبيها أو ولي أمرها إلى أن تتزوج فليس للأب أو غيره أن يلزم البنت طلب الرزق حماية لشرفها ومصلحتها في المجتمع.

---

(١) سورة التكوير : الآية (٨) .

(٢) سورة الإسراء : الآية (٣١) .

(٣) رواه البخاري ومسلم والترمذي .

ثم أعطى لها الإسلام حقاً في الميراث بعد أن كانت محرومة منه فتعيش حياة محترمة لا تحتاج لأحد كما وضحت ذلك آيات سورة النساء. وحينما يظهر على البنت علامات البلوغ وحسن التصرف زالت عنها الولاية من وليها أو وصيها، وأصبحت أحق بنفسها ومالها. فأصبح لها الحق في قبول ورفض من يأتي لخطبتها، ولا حق لأحد أن يجبرها على قبول من لا تريد، ولا أن يمنعها أن تتزوج من رضيت من أهل الخلق والدين.

فقد قال ﷺ « لا تنكح الأيم حتى تستأمر، ولا تنكح البكر حتى تستأذن، قالوا: يا رسول، وكيف إذنها؟ قال: أن تسكت »[1].

وقد اهتم النبي ﷺ بهذا الأمر وتنفيذ هذا الحكم فعندما شكت بالغة إلى النبي ﷺ أباها بأنه زوجها برجل دون رضاها، خيرها الرسول ﷺ في قبول هذا الزواج أو رفضه.

فعن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: جاءت فتاة إلى رسول الله ﷺ فقالت: إن أبي زوجني ابن أخيه ليرفع بي خسيسته، قال: فجعل الأمر إليها. فقالت: قد أجزت ما صنع أبي، ولكني أردت أن أعلم النساء أن ليس للآباء من الأمر شيء[2].

وقدر الإسلام للمرأة حقوقاً وهي زوجة منها: المهر أو الصداق، قال تعالى: ﴿ وَآتُواْ النِّسَاء صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾[3].

النفقة: فالنفقة تلزم الزوج من حين عقد الزواج، عليه أن يعد لها المسكن والمتاع ويوفر لها الطعام والكسوة، ولا تلزم الزوجة بهذا وحتى ولو كانت ذات مال إلا أن تتطوع. قال تعالى: ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللّهُ لا يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً ﴾[4].

إحسان العشرة: قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾[5] ﴿وَلا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ﴾[6] أي يجب التوسيع عليهن في المعاملة، ويحرم ما يضرهن فمن استقام مع زوجته على ذلك فهو المسلم الخير.

---

(١) رواه البخاري ومسلم .

(٢) أخرجه البخاري وأصحاب السنن .

(٣) سورة النساء : الآية (٤) .

(٤) سورة الطلاق : الآية (٧) .

(٥) سورة النساء : الآية (١٩) .

قال ﷺ: « خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي ». كما أوجب الإسلام على الزوج احترام ملكيتها، فلا يتصرف فيها إلا بإذنها والسماح لها بزيارة أهلها أو العكس.

وأعطى الإسلام للمرأة حقوقاً وهي أم، بأن يقوم الأبناء ببرها، وعدم عقوقها، ولقد أوصى القرآن الكريم في أكثر من موضع ببر الوالدين منها قوله سبحانه: ﴿ وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً... ﴾[٢] .

كذلك أعطى الإسلام للمرأة حقوقاً على زوجها في حالة طلاقها منه، فأوجب عليه النفقة طالما مازالت على ذمته باعتبار قدرته المالية، كذلك أوجب الشرع عليه إعطاء أجرة الرضاع إذا كان هناك رضيع للمطلقة: ﴿ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾[٣] وللمطلقة مؤخر صداقها كاملاً غير منقوص، قال تعالى: ﴿وَلاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُواْ مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً ﴾[٤] .

أما عن حقوق المرأة وهي متوفى عنها زوجها: أن تتربص للعدة أربعة أشهر وعشراً، وتقضي هذه المدة بإقامة محترمة وفاءً أو إخلاصاً للمتوفى. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً ﴾[٥] .

وقد قرر الإسلام للمرأة حقوقاً في شئون حياتها باعتبارها فرداً من أفراد المجتمع الإسلامي، فقد نظر الإسلام للمرأة كنظرته إلى الرجل، حيث منحها حقوقاً كما منحه حقوقاً، وكلفها بواجبات كما كلفه بواجبات، فهي مخاطبة بالتشريعات والتكاليف الشرعية مثل الرجل، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾[٦]. وهي كذلك مجازاة بالخير خيراً، وبالإساءة عقاباً، قال تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ

---

(١) سورة الطلاق : الآية (٦) .

(٢) سورة النساء : الآية (٣٦) .

(٣) سورة الطلاق : الآية (٥) .

(٤) سورة البقرة : الآية (٢٢٩) .

(٥) سورة البقرة : الآية (٢٢٤) .

(٦) سورة المدثر : الآية (٣٨)

مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ﴾[1] وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَـئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيراً﴾[2] وقال تعالى: ﴿وَعَدَ اللّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾[3] . وهي مطالبة كذلك مثل الرجل بالرجوع إلى شرع الله وتحكيمه في أمور الحياة. قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِيناً﴾[4] .

هذه حقوق المرأة في الإسلام، حقوق كلها حكمة في التشريع، وكلها رحمة ورعاية بشأن المرأة، حقوق رفع بها الإسلام شأن المرأة المسلمة وحفظ لها كرامتها وصان بها شرفها. فهل ترضى المرأة بديلاً عن هذا الشرع؟!

الإسلام وتعليم المرأة:

الرجل والمرأة هما اللبنة الأولى لبناء الأسرة، والأسرة هي جزء من مجتمع كبير، من أجل ذلك اهتم الإسلام بالأسرة التي يتخرج منها الأبناء ليكونوا جزءاً من المجتمع الكبير، ومن الأولويات التي اهتم بها الإسلام العلم، لأنه يعد الركيزة الأولى لبناء المجتمعات ومن خلاله يعرف الإنسان ماله من واجبات وما عليه من حقوق نحو ربه ونحو المجتمع، وقد وردت آيات كثيرة وأحاديث نبوية كلها ترغب في تحصيل العلم النافع وأن صاحبه ينال الأجر والثواب العظيم من الله من أجل مجاهدة النفس في تحصيل العلم، يقول الله سبحانه: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[5] ويقول سبحانه: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ

---

(١) سورة آل عمران : الآية (١٩٥) .

(٢) سورة النساء : الآية (١٢٤) .

(٣) سورة التوبة : الآية (٦٨) .

(٤) سورة الأحزاب : الآية (٣٥) .

(٥) سورة العلق : الآية (١ - ٥) .

وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾[1] ويقول سبحانه: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء ﴾[2].

لذا كانت المرأة كالرجل في هذا الأمر من حيث الأمر بالتكليف، لذا رخص لها الخروج لطلب العلم والتفقه في الدين، وسؤال العلماء. انطلاقاً من قوله ﷺ: « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة »[3] وروى عن أبي سعيد الخدري قال: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله غلبنا عليك الرجال، فاجعل لنا من نفسك يوماً نأتيك فيه تعلمنا مما علمك الله فقال: اجتمعن في يوم كذا وكذا في مكان كذا وكذا، فاجتمعن، فأتاهن رسول الله ﷺ فعلمهن مما علمه الله ثم قال: « ما منكن امرأة تقدم بين يديها من ولدها ثلاثة إلا كان لها حجاباً من النار، فقالت امرأة منهن يا رسول الله: واثنين؟ قال: فأعادها مرتين، ثم قال: واثنين واثنين واثنين »[4].

قال الحافظ بن حجر: وفي الحديث بيان لما كان عليه نساء الصحابة – رضوان الله عليهم جميعاً – من الحرص على تعلم أمور الدين[5]. ويلاحظ أيضاً من خلال هذا الحديث بأن ليوم المخصص للنساء كان زيادة على الأيام التي يشاركن فيها الرجال في سماع خطب رسول الله ﷺ في المسجد.

ولهذا نجد المسلمات في الصدر الأول من الإسلام قد هَلن من النبع الصافي حتى ظهرت منهن النابغات في مختلف العلوم، منهن:

أم المؤمنين خديجة بنت خويلد، وأم المؤمنين عائشة، وأم المؤمنين أم سلمة، وأسماء بنت أبي بكر، وأمية بنت قيس الغفارية، والزرقاء بنت عدي بن غالب الهمدانية، ونسيبة بنت كعب الأنصارية، وحواء بنت يزيد بن سنان الأنصارية، وسودة بنت عمارة، وأم

---

(١) سورة الزمر : الآية (٩) .

(٢) سورة فاطر : الآية (٢٨) .

(٣) رواه ابن ماجه .

(٤) رواه البخاري ومسلم .

(٥) فتح الباري ، ج١ ، ص٢٠٧ .

الخير بنت الحريش، والخنساء تماضر بنت عمرو، وحفصة بنت سيرين وغيرهن كثيرات[1]. ولولا أن الإسلام يدعو إلى تعليم المرأة ما برزت تلك الأسماء.

إن العلم الذي نريده ونطالب به للمرأة: هو كل علم يتفق وطبيعتها الأنثوية ولا يتناقض مع وظيفتها الأساسية، وأول العلوم ضرورة: العلم الديني الشرعي وليس في هذا أدنى شك، ومن ثم علم الأمومة وأصول التربية في مختلف متطلباتها النفسية والسلوكية. ولها بعد ذلك ميدان العلم فسيحاً تنهل من ينابيعه ما تشاء وتقدر، مما يؤهلها لخوض معركة الحياة.

ومع حرص الإسلام على تثقيف المرأة وتعلمها والرقي بها فكرياً، حذر الإسلام من الاختلاط بين الجنسين لما يترتب على ذلك من نتائج وخيمة نراها ونسمع ونقرأ عنها في الصحف والمجلات وليس هذا بخاف على أحد بعد، فمن أضرار الاختلاط في مجال التعليم:

١-معصية الله تعالى بما فيه من تبرج بعض الطالبات، وخروجهن عن الآداب الشرعية.

٢-ما يكون ثَمَّة من نظرات مغرضة لما أنه من الصعب غض البصر في تلك المجالات.

٣-ما يؤدي الاجتماع في مكان واحد إلى عقد تعارف وصداقة بين الطلاب والطالبات.

٤-ما يقع هناك من جرائم الزنا أو الاغتصاب أو الزواج السري بين الطلاب والطالبات وزواج مؤقت.

٥-زد على ذلك المستوى المتدني في الناحية العلمية لخريجي وخريجات الجامعات المختلطة[2].

---

(١) المرأة في الإسلام ، علي عبد الواحد وافي ، ص٢٣ .

(٢) المرأة المسلمة ، وهبي سليمان غاوجي ، ص١٩٥ ، حقوق المرأة في الشريعة الإسلامية ، د. إبراهيم عبدالهادي أحمد ، ص١٨٥ .

فإذا رغبت الفتاة المسلمة الخروج لتلقي العلم فعليها الالتزام بالضوابط الشرعية التي وضعها الشرع حفاظاً لكرامتها وصوناً لعفتها وسلاماً لمجتمعها.

والخلاصة: إن التعليم واجب بالنسبة للمرأة وإبعادها عنه إثم، ومحاربة ذلك الإبعاد واجب، ولكننا لابد وأن نضع هذه الثوابت ضمن ضوابطها الشرعية التي تجمع بين العلم والخلق والعفاف.

الإسلام وعمل المرأة:

يلحظ الإسلام الفطرة البشرية وحاجات المجتمع معاً، حين خصص للمرأة وظيفتها الحيوية التي خلقت من أجلها، ووهبت العبقرية فيها، وجعل كفالتها واجبة على الرجل لا يملك النكوص عنها[1].

إن الإسلام يرى أن المرأة خلقت لتقوم بدور خطير في المجتمع، وهو أن تكون شريكة الرجل في حفظ أمانة الحياة ورعاية الأجيال، لتمضي الحياة إلى غايتها وتحقق مهمتها.

ومجالها الحق هو الأسرة، حيث تمثل نواتها الهامة وروحها الموجهة. إنها هناك في أقدس غاية، وأكرم عمل حيث تصنع الطفولة وتتعهد الرجولة وتشيع في بيتها الحب والأمن والحنان.

وإلى هذه المهمة الكريمة يشير الرسولﷺ وهو ينوه بنساء قريش الصالحات « خير نساء ركبن الإبل صالح نساء قريش: أحناه على طفل وأرعاه لزوج في ذات يده »[2].

وهذا ما أكدته الأبحاث العلمية: إذ أثبت علم الأحياء أن المرأة تختلف عن الرجل في كل شيء من الصورة والسمت إلى الأعضاء الخارجية إلى الأعضاء الداخلية ووظائفها. فهيكل المرأة ونظام جسمها قد ركب تركيباً تستعد به لولادة الطفل وتربيته، بينما هيكل الرجل ركب ليخرج به إلى ميدان العمل ليكدح ويكافح. ومن الفروق الظاهرية: العضلات المشدودة لدى الفتى، مما ليس مثله عند الفتاة، ومثله الصدر الواسع والبطن الضيق والحوض الصغير نسبياً عكس الفتاة. ليس ذلك فحسب، بل تركيب العظام يختلف في الرجل عن المرأة من حيث القوة والمتانة.

---

(١) شبهات حول الإسلام ، محمد قطب ، ص١٤٠ .

(٢) أخرجه البخاري .

إن وظائف المرأة الفسيولوجية تعيقها عن العمل خارج المنزل، ويكفي أن ننظر إلى ما يعتري المرأة في الحيض والحمل والولادة لنعرف أن خروجها إلى العمل خارج بيتها يعتبر تعطيلاً لعملها الأصلي ذاته ويصادم فطرتها وتكوينها البيولوجي.

فخلال الحيض مثلاً تتعرض المرأة لآلام شديدة، فتصاب أكثر النساء بآلام وأوجاع أسفل الظهر وأسفل البطن، ويصاب أكثرهن بحالة من الكآبة والضيق أثناء الحيض، وتكون المرأة عادة متقلبة المزاج سريعة الاهتياج قليلة الاحتمال، كما أن حالتها العقلية والفكرية تكون في أدنى مستوى لها، كذلك تصاب بعض النساء بالصداع النصفي قرب بداية الحيض، فتكون الآلام مبرحة تصحبها زغللة في الرؤية، وتميل كذلك بعض النساء أثناء فترة الحيض إلى العزلة والسكينة، لأن هذه الفترة فترة نزيف دموي من قعر الرحم، كما أن المرأة تصاب بفقر الدم الذي ينتج عن هذا النـــزيف.

زد على ذلك بأن الغدد الصماء تصاب بالتغير، فتقل إفرازاتها الحيوية الهامة للجسم وينخفض ضغط الدم، ويبطؤ النبض، وتصاب كثير من النساء بالدوخة والكسل والفتور أثناء فترة الحيض.

وأما خلال فترة الحمل والنفاس والرضاع فتحتاج المرأة إلى رعاية خاصة، حيث ينقلب كيانها خلال فترة الحمل فيبدأ الغثيان والقيء، وتعطى الأم جنينها كل ما يحتاج إليه من مواد غذائية مهضومة جاهزة، ويسحب كل ما يحتاج إليه لبناء جسمه ونموه، حتى ولو ترك الأم شبحاً هزيلاً يعاني من لين العظام ونقص الفيتامينات وفقر الدم.

يضخ القلب قبل الحمل حوالي « ٦٥٠٠ » لتر من الدم يومياً، أما في أثناء الحمل وخاصة قرب نهايته فتصل كمية الدم التي يضخها القلب « ١٥٠٠٠ » لتر[1] وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾[2] .

من الواضح أن عمل الأنثى الذي لا يصلح له غيرها هو النسل، وحفظ النوع؛ لأن التركيب الذكراني لا يسمح لهم بحمل الجنين ولا بإرضاعه، ومن الثابت أن إرهاق المرأة

---

(١) الحجـــاب ، أبـــو الأعلـــى المودودي ، وعمل المرأة في الميزان ، محمد علي البار ، المرأة المسلمة ، وهبي سليمان .

(٢) سورة طه : الآية (٥٠) .

بالعمل يترك أثراً في مزاجها وفي أعصابها، ومن الثابت أيضاً أن ذلك الأثر ينتقل إلى جنينها في حالة الحمل، كما ينتقل إلى طفلها في حالة الرضاعة، ثم إن المرأة بحاجة إلى أن توفر لها الفرصة كاملة لملازمة طفلها، تسمح بأن يصنع على عينها جسماً وعقلاً وخلقاً، لكي تغرس فيه العادات الفاضلة، وتجنبه ما قد يعرض له أو يطرأ عليه من عادات قبيحة.

كما أن اعتماد المرأة العاملة على الخدم وعلى دور الحضانة في رعاية وليدها لا يؤدي إلى اكتمال تنشئته، لأن الإخلاص له والحرص على ابتغاء الكمال من كل وجه لا يتوفر في أحد مثل توافره في الأم، فإن من وراء إخلاصها وحرصها غريزة الأمومة[1].

كما أثبتت دراسة ميدانية أن المرأة العاملة خارج البيت تنفق من دخلها ٤٠% على المظهر والمواصلات، أما تلك التي تعمل في بيتها فهي توفر من تكلفة الطعام والشراب ما لا يقل عن ٣٠%، وخلصت الدراسة إلى أن المرأة التي تمكث في البيت توفر ما لا يقل عن ٧٠% من الدخل الذي كان بالإمكان أن تحصل عليه، بل يمكنها أن تحقق دخلاً أكثر مما تحققه الموظفة إذ تستطيع أن تحول بيتها إلى ورشة إنتاجية بأن تصنع في وقت فراغها ما يحتاج إليه بيتها ومجتمعها[2].

وأما نوعية العمل الذي يمكن تأديته من داخل المنزل كثيرة ومتنوعة مثل: مساعدة إدارية، تخطيط، تحرير صحافي، معالجة إدخال بيانات، تحليل مالي، باحث إنترنت، تدقيق لغوي، مبيعات وتسويق، ترجمة لغات، طباعة، معالجة نصوص، تصميم فني، تصميم ديكور، صناعات تقليدية وغيرها من المهن التي تناسب طبيعة المرأة[3].

إن طبيعة الإسلام هي التوازن المقسط في كل ما يشرعه ويدعو إليه من أحكام وآداب، فهو لا يعطي شيئاً ليحرم آخر، ولا يضخم ناحية على حساب أخرى، ولا يسرف في إعطاء الحقوق، ولا في طلب الواجبات. ولهذا لم يكن من هَمِّ الإسلام تدليل المرأة على حساب الرجل، ولا ظلمها من أجله، ولم يكن همه إرضاء نزواتها على حساب

---

(١) حصوننا مهددة من داخلها ، محمد محمد حسين ، ص٩٠ .

(٢) نظـام الأسرة بين المسيحية والإسلام، د. محمود شعلان، ج١، ص٣٥٩ . ووظيفة المرأة المسلمة في عالم اليوم، خولة عبد اللطيف العتيقي ، ص٥٧ .

(٣) صحيفة الشرق الأوسط ، العدد (٧٠٨٧) بتاريخ ١٩٩٨/٤/٢٤م .

رسالتها، ولا إرضاء الرجل على حساب كرامتها، وإنما نجد أن موقف الإسلام تجاه المرأة يتمثل فيما يلي:

أ- أنه يريد أن يحافظ على أنوثتها التي فطرها الله عليها، ويحرسها من أنياب المفترسين الذين يريدون التهامها حراماً، ومن جشع المستغلين الذين يريدون أن يتخذوا من أنوثتها أداة للتجارة والربح الحرام .

ب- أنه يحترم وظيفتها السامية التي تهيأت لها بفطرتها، واختارها لها خالقها الذي خصها بنصيب أوفر من نصيب الرجل في جانب الحنان والعاطفة، ورقة الإحساس، وسرعة الانفعال، ليعدها بذلك لرسالة الأمومة الحانية التي تشرف على أعظم صناعة في الأمة، وهي صناعة أجيال الغد .

ج- إن كل مذهب أو نظام يحاول إجلاء المرأة عن مملكتها، ويخطفها من زوجها، وينتزعها من فلذات أكبادها باسم الحرية أو العمل، هو في الحقيقة عدو للمرأة، يريد أن يسلبها كل شيء، ولا يعطيها لقاء ذلك شيئاً يذكر، فلا غرر أن يرفضه الإسلام[1] .

بل إن الزوجة المسلمة مهيأة نفسياً في حسم الموقف في حالة تحقيق ذاتها داخل البيت أم خارجه. ففي دراسة على المرأة العاملة في الكويت أشار ٧٧% من الكويتيين إلى أن عمل المرأة يأتي في المرتبة الثانية بعد مسئوليتها في البيت وتربية الأولاد ورعاية الزوج، وفي دراسة على المرأة العاملة في مصر اتفق الأزواج والزوجات من الموظفين على أن الأعمال المنـــزلية وتربية الأولاد في مقدمة مسئوليات الزوجة الموظفة .

وفي دراسة على الزوجات غير المنجبات في أمريكا وجد أنهن على استعداد لترك العمل إذا خيرن بين الإنجاب والعمل، أو تعارضت مسئوليات العمل مع الولادة وتربية الأطفال .

وفي دراسة أخرى أشار ٦٧% من طالبات الجامعة في أمريكا أيضاً إلى أن وظيفة المرأة الأساسية هي الزوجة والأم، وفي دراسة ثالثة على ٤٨ طالبة دكتوراه تبين أنهن

---

(١) مركز المرأة في الحياة الإسلامية ، د. يوسف القرضاوي، ص١٠٥ .

يعلقن أهمية كبيرة على الزوج وتكوين الأسرة، ولو خيرن بين الزواج والدراسة لفضلن الزواج أولاً ثم الدراسة ثانياً[1] .

ولكن هل يعد عمل المرأة خارج البيت حراماً ومنهياً عنه شرعاً ؟

أقول: كلا لا يوجد نص في كتاب ولا في سنة صحيحة يمنع المرأة من العمل خارج البيت، بل لقد سجل التاريخ أن المرأة في صدر الإسلام قد ساهمت في بناء الأمة ووقفت مع الرجل جنباً إلى جنب في جميع مجالات الحياة، فلقد بايعت المرأة، وجاهدت، وهاجرت، ومرّضت، وعلمت وكانت من رواة الأحاديث، واستدركت أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – على الصحابة، وقدمت أم المؤمنين أم سلمة – رضي الله عنها – المشورة والرأي والحكمة للرسول ﷺ الموحى إليه المستغني عن الشورى بالوحي في صلح الحديبية، عندما اختلطت الرؤية وكادت أن توقع في هلكة، الأمر الذي شكل منعطفاً تاريخياً وكان له أبعاده الممتدة في التاريخ الإسلامي .

ولم يكن ذلك قاصراً على عهد النبوة، ففي كل أطوار المجتمع الإسلامي الواعية يتضح دور المرأة، حتى لقد ارتقت المرأة فيه إلى درجة الأستاذية لكثير من الرجال، وحتى نجد نساء كثيرات كن يشاركن في الرواية والأخبار ويؤدين تراث الإسلام للأجيال . ففي القرن السادس نجد ابن الجوزي الإمام الحافظ يكثر الرواية عن «شيخته شُهده» ويروي عنها الكثير من الأحاديث والأخبار. والسيوطي في القرن العاشر يحدثنا عن شيخاته في علوم مختلفة منها علوم اللغة . ولعل الإسلام هو الدين الوحيد الذي اؤتمنت على أخباره وأحكامه النساء وتلقتها عنهن الأجيال. إن استقراء التاريخ يشهد بما بلغته المرأة في عصوره الزاهرة من رفعة وسناء، وليس ذلك في نظر الإسلام إلا احتراماً لحكم الفطرة وحقيقة التكوين وليس افتعالاً ولا محاباة .

أسباب خروج المرأة إلى العمل:

لقد وجدت المرأة المعاصرة نفسها مدفوعة بعوامل عديدة، ومدعوة بعوامل أخرى: منها ما هو نفسي ومنها ما هو اقتصادي اجتماعي، ومنها ما هو ثقافي حضاري، وما هو

---

(١) العلاقات الزوجية والصحة النفسية في الإسلام وعلم النفس ، د. كمال إبراهيم موسى ، ص١٧٦ .

إنساني أخلاقي، لتلقي بذاتها في معترك العمل بعد أن أتيح لها نصيب لا بأس به من العلم والتعليم بجهدها وجهادها. ويرجع خروج المرأة إلى العمل للأسباب الآتية:-

١- الحاجة المادية إما لفقدان العائل، أو رغبة في مساعدته، والإسهام في دخل الأسرة بغية تحسين مستوى المعيشة.

٢- حاجة المجتمع والرغبة في بنائه وخدمته.

٣- استغلال المواهب فيما يعود بالخير العميم.

٤- الاستعاضة عن أعمال المنـــزل بأخرى أكثر راحة.

٥- محاولة الاستقلال الاقتصادي عن الرجل، وتحقيق المساواة المطلقة بين الرجل والمرأة في كل ما يأخذ ويذر.

٦- ثمة دافع نفسي وهو: إشباع الشعور بالنقص الناتج عن انتقاص الرجل للمرأة وعدم احترامه لها.

٧- عدم ضمان ظروف الحياة.

٨- نتيجة التطور وتعليم البنات.

٩- المشاركة في الحياة العامة.

١٠- شغل أوقات الفراغ وخاصة بعد انتهاء مرحلة التعليم[١].

يتضح مما سبق من أسباب إنها ترجع إلى عوامل ثلاثة:

العامل الأول: العامل الاقتصادي الذي يعني الحاجة للمادة أو محاولة التحرر من التبعية بالنسبة للرجل.

العامل الثاني: العامل الاجتماعي الذي يعني بناء علاقات اجتماعية خارج محيط الأسرة أو العائلة الواحدة.

العامل الثالث: العامل النفسي ويعني الحصول على إرضاء الذات من خلال أداء نوع العمل الذي تميل إليه[٢].

---

(١) المـــرأة المـــسلمة وفقه الدعوة، علي عبد الحليم محمود، ص٣٥٠، عمل المرأة وموقف الإسلام منه، عبد الرب نواب الدين، ص٦٩، تأثير عمل المرأة على تماسك الأسرة في المجتمع العربي، تماضر زهري حسون، ص٥٠.

(٢) قوامة الرجل وخروج المرأة للعمل، محمد بن سعود بن عبدالرحمن آل سعود ، ص٧٩ .

هنا لا بد من وضع مقارنة بين أسباب خروج المرأة المسلمة إلى العمل والمرأة الغربية التي قلدتها، وتأسى بها أنصار تحرير المرأة في المناداة بإطلاق المرأة من سجن البيت إلى حيث حرية العلم والعطاء، وإذا ما وصلت المرأة الغربية سن البلوغ استنكف والدها عن الإنفاق عليها، وكان عليها أن تبحث عن عمل تكسب عيشها من خلاله، وتدخر المال الذي تقدمه لزوج المستقبل، أو تستعين به على ظروف الحياة إن لم يتأت لها الزواج، كما أن ظاهرة خروج المرأة في المجتمعات الغربية مرتبطة بصورة أساسية بالعمل، ووجدت كثمرة طبيعية للحربين العالميتين وما خلفتاه من مآس تمثلت في فقد الآباء والأزواج فوجدت المرأة نفسها بلا معيل، مما حدا بها إلى أن تقتحم ميادين العمل مكرهة لسد حاجتها ولتوفير أسباب العيش وصيانة نفسها من الضياع[1].

فشتان بين امرأة كفل لها الشرع من يقوم برعايتها والإنفاق عليها، وامرأة ضاقت عليها الدنيا، وطردها أهلها ولم تجد حلاً إلا للخروج من أجل توفير لقمة العيش وكانت النتيجة !! .

ضوابط عمل المرأة خارج البيت:

عرفنا أن عمل المرأة خارج بيتها مباح شرعاً، ولكن هذا المباح مقيد بقيود وضوابط وضعها الإسلام للحفاظ على المرأة وصون كرامتها وحفاظاً على الأسرة من هذه الشروط والضوابط ما يلي:

١-أن تكون المرأة في حاجة إلى هذا العمل، والدليل على ذلك ما جاء في سورة القصص حيث يقول سبحانه: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لاَ نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاء وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾[2]. معنى الآية: أن المرأة المسلمة لا تضطر إلى العمل إلا عند عدم وجود الرجل الذي يتولى العمل بالأصالة، ولهذا قالتا ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ أي وما لنا رجل يقوم

---

(١) الزواج في الإسلام والانحراف المسلمين عنه ، مجيد الصيمري ، ص١٤١ .

(٢) سورة القصص : الآية (٢٤) .

بذلك، وأبونا شيخ كبير قد أضعفه الكبر فلا يصلح للقيام به، وإنا مع حيائنا إنما تصدينا لهذا الأمر لكبر أبينا وضعفه وإلا كان عليه أن يتولاه[1] .

٢-أن يكون العمل الذي تقوم به المرأة مما يرضي الله سبحانه، أي يكون متفقاً مع الشرع وليس مخالفاً للنصوص التشريعية .

٣-لا بد للمرأة من أن تستأذن من زوجها أو ولي أمرها لو أرادت أن تخرج إلى العمل، لأنه المسئول عنها أمام الله، وذلك انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ اللّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾[3] فلو أجاز لها العمل خرجت للعمل، ولو منعها عليها أن تطيعه ويتولى هو أمرها، أما لو منعها لمجرد المنع دون توفير متطلبات حياتها فلا تستأذن وعليها أن تخرج حتى توفر لنفسها ما تحتاجه من أشياء حياتية.

٤-ألا يعارض وظيفتها الأساسية في البيت نحو زوجها وأولادها، ذلك بأن يكون وقت العمل ست ساعات في اليوم حتى تستطيع العودة إلى بيتها وتؤدي ما عليها من واجبات بنفس راضية مرتاحة دون تعب أو مشقة[4] .

٥-أن يكون العمل ملائماً لفطرتها وطبيعتها وخصائصها النفسية والبدنية، أما الأعمال التي لا تتفق مع أنوثتها وطبيعتها، فلا يجوز لها أن تمارسها لأن ممارستها يعتبر عدواناً على طبيعتها وأنوثتها وهذا لا يجوز .

٦-الحجاب "عدم الاختلاط أو التبرج أو السفور أو الخلوة"[5]، فعلى المرأة المسلمة في عملها خارج البيت أن تلتزم بالحجاب إذ يجب أن تصان وتحفظ بما لا يجب مثله في الرجل، ولهذا حصنت بالاحتجاب وترك إبداء الزينة، وترك التبرج . ولقد حوى القرآن

---

(١) روح المعاني ، الألوسي ، ج٢٠ ، ص٦٠ .

(٢) سورة التحريم : الآية (٦) .

(٣) سورة النساء : الآية (٣٤) .

(٤) مشكلات المرأة المسلمة المعاصرة ، تحية ميرزا ، ص٨٣ .

(٥) عمل المرأة وموقف الإسلام منه ، عبدالرب نواب الدين ، ١١٥ ، ١٦ بتصرف .

الكريم العديد من النصوص التي تقر الحجاب على نساء المسلمين منها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾[1] وقوله: ﴿إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفاً * وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾[2] وقوله سبحانه: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾[3].

تفيد النصوص السابقة جملة من الأحكام منها:

١-أن تلتزم المرأة باللباس الشرعي.

٢-ألا تخرج من بيتها متبرجة.

٣-ألا ترقق صوتها، وأن تقدر وجود مرض الشهوة في قلوب الفاسقين.

٤-أن تحفظ بصرها وتغضه عن كل ما هو محرم.

٥-ألا تخلو في عملها بأحد من الرجال.

ويهدف الإسلام من وراء وضع هذه الضوابط والشروط في خروج المرأة إلى العمل إلى عدة أهداف منها:

- بناء المجتمع المتكامل والمترابط.
- تهذيب الأمة وتربيتها على المثل.
- وقاية الأفراد من الأمراض والغوائل الاجتماعية.

فيهدف الإسلام - فيما يهدف إليه - إلى إشاعة الإيمان وثماره، وتعميق الإحساس به في كل لحظة، ولا يهدف إلى نزع الثقة من النساء كما يدعيه الجاهلون[4].

---

(١) سورة الأحزاب : الآية (٥٩) .

(٢) سورة الأحزاب : الآية (٣٢ - ٣٣)

(٣) سورة النور : الآية (٣٠ - ٣١) .

(٤) عمل المرأة وموقف الإسلام منه ، عبد الرب نواب الدين ، ص١٢٢ .

يقول الدكتور علي عبد الواحد والي: قد سوى الإسلام بين الرجل والمرأة في حق العمل فأباح للمرأة أن تضطلع بالوظائف والأعمال المشروعة التي تحسن أداءها ولا تتنافر مع طبيعتها، ولم يقيد هذا الحق إلا بما يحفظ للمرأة كرامتها، ويصونها عن التبذل، وينأى بها عن كل ما يتنافى مع الخلق الكريم، فاشترط إذا كان للمرأة عمل خارج بيتها أن تؤديه في وقار وحشمة، وفي صورة بعيدة عن نطاق الفتنة، وألا يكون من شأن هذا العمل أن يؤدي إلى ضرر اجتماعي أو خلقي، أو يعوقها عن أداء واجباتها الأخرى نحو زوجها وبيتها وأولادها أو يكلفها ما لا طاقة لها به، وألا تخرج في زيها وزينتها وسترها لأعضاء جسمها واختلاطها بغيرها في أثناء أدائها لعملها في الخارج عما سنته الشريعة الإسلامية في هذه الشئون[1].

الآثار السلبية الناتجة عن خروج المرأة للعمل:

إن خروج المرأة إلى العمل بشكل سافر يعتبر استخفافاً بها وهدراً لكرامتها وخروجاً عن رسالتها العظيمة التي أنيطت بها في هذه الحياة وهيأها لها الله لإشاعة جو السكن النفسي والطمأنينة في البيت، وإدخال السعادة على الزوج، ولتربية الأجيال الصالحة، كما وأن خروج المرأة إلى العمل بهذا الأسلوب يمثل فساداً في النظر إلى الحياة، وقلباً للأوضاع الاجتماعية واستزافاً لجهود المرأة في غير الميدان الذي يجب أن تكون فيه، فليس من المنطق أن تبني المرأة المصنع وتخدم الدائرة أو المؤسسة لتهدم أسرتها وتهمل بيتها وزوجها وأولادها[2].

إن خروج المرأة إلى العمل بلا ضرورة أدى إلى مردود سلبي على المرأة والزوج والأبناء والمجتمع ومن أهم هذه السلبيات والأضرار ما يلي:

---

(١) المرأة في الإسلام، د. علي عبد الواحد والي، ص٣١.

(٢) المرأة بين الفقه والقانون – مصطفى السباعي ص١٨٠، نظام الأسرة في الإسلام – محمد عقلة ص٣٠٣ حقوق المرأة في الإسلام – صالح أحمد جردات ص١٠٩، الأمومة ومكانتها في الإسلام – مها عبد الله الأبوش ج٢ ص٨٣٩، تأثير عمل المرأة على تماسك الأسرة في المجتمع العربي – د. تماضر زهرى حسون ص٦٣، المرأة المسلمة – وهبي سليمان غاوجي ص١٨٥، المرأة بين البيت والعمل – محمد سلامة آدم ص٩٧.

١) تقصير المرأة في حق بيتها فلم تصبح المرأة التي تستقبل زوجها بالابتسامة المعهودة والزينة المشهودة، بل لعلها تقابله بعبوس وملل يمليه إرهاق العمل.

٢) كثرة الخلافات الزوجية والتي يتسبب فيها عدم تحمل الزوجين كل منهما للآخر فيما يدور بينهما من مناقشات لأنهما على مستوى واحد من التعب والإرهاق.

٣) أهملت المرأة العاملة في حق صغارها وأصبحت بين أن تدفع بصغيرها إلى حضانة لا يمكن أن تعوضه عن حنان أمه، أو أن تكله لخادمة لا تشعر نحوه بأي شعور عاطفي، وكلا الأمرين مر.

٤) إن خروج المرأة إلى العمل كان سبباً في أن تلقي بنفسها في أتون شهوات الرجال، وشبقهم الجنسي لقاء لقمة العيش، فنتيجة للعمل أسرفت المرأة في التبرج، وخرجت إلى الشارع وخالطت الرجال، مما أدى إلى تمييع الأخلاق وشيوع الزنا الذي يفتك بالمجتمع ويهدم قيمه وأخلاقه وإلى إفقادها جمالها الجوهري ممثلاً في العفة والطهر والحياء ولاسيما حينما تمارس ما لا يليق بكرامتها من الأعمال.

٥) إرهاق المرأة جسمياً بما تقوم به من عمل مخالف لطبيعة جسمها وتركيبه الفسيولوجي الذي خُصت به ليتناسب مع التكليف الذي أنيطت به وخلقت من أجله وإرهاقها عقلياً بما تتعرض له من تفكير تجاه أطفالها الذين تركتهم في البيت أو في دور الحضانة أو عند المربيات ماذا جرى لهم وما أصابهم أثناء غيابها إن كان عندها بقية انتماء لهم أو عاطفة نحوهم.

٦) إن إطلاق عمل المرأة بغير حدود أسوة بالغرب ترتب عليه زيادة كبيرة في كمية البطالة في شباب الرجال.

٧) إن عمل المرأة خارج البيت وتعاملها مع الزملاء أو الزميلات والرؤساء وما ينتج عن ذلك من توتر ومشادات يؤثر في نفسيتها وسلوكها، فيترك بصمات وآثاراً على تصرفاتها، فيفقدها الكثير من هدوئها واتزانها ومن ثم يؤثر بطريق مباشر في أطفالها وزوجها وأسرتها.

٨) المرأة مطبوعة على حب الزينة والتحلي بالثياب وغيرها، فكما قال تعالى: ﴿أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾[1] فإذا هي خرجت لتعمل خارج البيت فإنها ستنفق الكثير من المال الذي تأخذه على ثيابها وزينتها وتصفيف شعرها.

٩) ساهم عمل المرأة مساهمة فعالة في قضية العنوسة، فالمرأة التي ترغب العمل لا توافق على زواج قد يقطعها عن الدراسة التي هي بريد العمل، وإذا عزفت عن الزواج في السن المبكرة فربما لا تجد من يتقدم لها بعد ذلك.

١٠) انخفاض معدلات الخصوبة والإنجاب في الأسرة وارتفاع معدلات الطلاق نظراً لشعور المرأة بالاستقلال الاقتصادي، فلا تتردد في قطع علاقتها الزوجية إذا لم يحقق لها الزوج السعادة التي تنشدها.

لقد ترتب على نزول المرأة إلى العمل وتعاظم مشاركتها فيه، يوماً بعد يوم، واتساع نطاق أدوارها الاجتماعية لذلك، وتداخل هذه الأدوار في بعض الأحيان، بل تعارضها وتصارعها في أحيان أخرى نتائج كثيرة في المستوى النفسي والاجتماعي على المرأة نفسها، في علاقاتها بذاتها، وفي علاقاتها بالآخرين {الزوج والأولاد في المقام الأول} ثم علاقاتها بالمجتمع {أفراداً ومؤسسات وقيماً وأعرافاً} فكثيراً ما تجد المرأة ذاتها أمام مطالب وتوقعات متعددة واختيارات صعبة قد تكون مستحيلة في بعض الأحيان، فما ينتظره البيت منها قد لا يمكنها منه أداؤها لواجبات عملها خارج البيت أو ضيق الوقت ونفاد الجهد، وما تتمناه لذاتها أو ترجوه لنفسها من صورة معينة تبدو عليها شكلاً أو أداءً أو تحقيقاً لقيم ومثل عليا قد لا يتاح لها حينما تجد نفسها موضوعة دائماً أمام اختيارات وأولويات متعددة وعليها أن تقدم منها وأن تؤخر حتى تستطيع أن تحافظ على الحد الأدنى من استمرارية الحياة.

والحق: إننا نتبع أصول ديننا ولا نلتفت لما هو مستورد من الغرب نريح ونستريح، فلو جعلنا عمل المرأة كما قضى الإسلام استثناء من القاعدة بحيث لا تعمل إلا للضرورة حقيقية عامة أو خاصة، وأن يكون عملها مناسباً لها من حيث هي امرأة، وأن نجنبها قدر الطاقة الاختلاط بالرجال في ذلك العمل، لتبدد كثير من النتائج الصعبة التي تعانيها الآن

---

(١) سورة الزخرف : الآية (١٨) .

من عمل المرأة، وتعانيها المرأة نفسها، والتي تشكل تحدياً واضحاً وشائكاً للأسرة ومهدداً لكيانها.

موقف الغرب من عمل المرأة:

إن مساوئ عمل المرأة كثيرة كما أقرها رجال الغرب ممن ذاقوا وبال عمل المرأة واصطلوا بنار زجها في أتون العمل، ويعزى تدهور الأخلاق في الغرب إلى ترك المرأة بيتها واشتغالها في الحياة العامة، والآن نجد الكثير من النساء يطالبن بأن تعمل المرأة بما يوافق فطرتها، وترك ممارسة أعمال الرجال سلامة لشرفها وحفظاً لكرامتها ولأسرتها، بل نادى البعض منهم إلى عودة المرأة إلى مملكتها ألا وهو البيت.

فقد أجرت صحيفة الجارديان البريطانية في عددها الصادر بتاريخ ١٩٩١/٣/٧ استفتاء بين ١١٠٠٠ امرأة ثلثاهن تقل أعمارهن عن ٣٥ سنة، تبين من خلاله أن ٦٨ % من النساء يفضلن البيت على العمل[١] . وقد أكدت نتائج الدراسات الاجتماعية والإحصاء القومي الأوروبي، على تفضيل المرأة الإيطالية للقيام بدور ربة البيت على أي نجاح قد يصادفها في العمل وأوضحت نتائج الأبحاث التي أجريت في خمس دول أوروبية وهي{إيطاليا، وفرنسا، وبريطانيا، وألمانيا، وأسبانيا} بأن الإيطالية أكثر سعادة وتفاؤلاً بخدمتها للأسرة من سعادتها بالتقدم في أي عمل مهني أو الوصول إلى مكانة وزيرة أو سفيرة أو رئيسة بنك، كما يفضلن أن يكن أمهات صالحات، ولسن عاملات ناجحات، وأشارت الدراسات إلى أن المرأة العاملة في إيطاليا تتخذ من العمل وسيلة للرزق فقط، وترفضه في أول مناسبة اجتماع عائلي أو عندما يتمكن زوجها من الإنفاق على الأسرة. وأجمع أكثر من ٩٥% من السيدات في إيطاليا على إيمانهن العميق بقيمة الأسرة كأساس حقيقي للسعادة والاستقرار، والتأكيد بأن إصرار المرأة على العمل إنما هو محاولة هروب من أزمات أسرية[٢].

وقد عبر عن مدى ما تعانيه المرأة من جراء خروجها من منزلها وحرمانها من نعمة القرار في البيت مع الأولاد عدد من المشهورات في عالم الفن.

---

(١) المرأة المسلمة في وجه التحديات – شذى الدركزلي ص١٠٨ .

(٢) صحيفة عكاظ عدد ١٠٨٢٣ في ١٩٩٦/٣/٣١م .

فهذه « مارلين مونرو » تلك المرأة التي تعد أشهر ممثلة في الإغراء في وقتها، ماتت منتحرة، واكتشف التحقق الذي يدرس قضية انتحارها رسالة محفوظة في صندوق الأمانات في مانهاتن بنك في نيويورك، ووجد على غلافها كلمة تطلب عدم فتح الرسالة قبل وفاتها. قالت مارلين في رسالتها إلى فتاة، إلى كل من يرغب بالعمل في السينما: احذري المجد، احذري كل من يخدعك بالأضواء، إني أتعس امرأة على هذه الأرض لم أستطع أن أكون أماً، إني أفضل البيت، الحياة العائلية الشريفة على كل شيء، إن سعادة المرأة الحقيقية في الحياة العائلية الشريفة الطاهرة، بل إن هذه الحياة العائلية هي رمز سعادة المرأة، بل الإنسانية[1] .

(كما أكدت صحيفة فرنسية أن القرن الواحد والعشرين الميلادي، سيشهد رجوع المرأة الأوروبية إلى المنزل بضغط من المشاكل الاجتماعية التي خلفها خروج المرأة الغربية إلى سوق العمل بعد الحرب العالمية الثانية، وقالت: إن المرأة الفرنسية خصوصاً والأوروبية بشكل عام ستعود إلى بيتها في موعد أقصاه بداية القرن المقبل، وبشكل يفوق كل التوقعات، كما توقعت أن تعدل التشريعات الغربية لصالح بقاء المرأة في البيت لرعاية الأسرة، وفي سبيل إفساح المجال أمام مزيد من الرجال للعمل. وأضافت: إن تنامي قناعة المرأة بأنها خسرت دورها الاجتماعي من خلال خروجها إلى العمل – بالإضافة إلى أنها لم تحقق الاستقرار النفسي والعاطفي الذي كانت تشهده عن طريق تحقيق استقلالها المادي، يمكن أن يساعد على إحداث تغيرات سريعة وعنيفة في المجتمعات الغربية، وبشكل يصب في اتجاه عودة المرأة إلى ممارسة وضعها الطبيعي في الأسرة والبيت.

وأضافت – أيضاً –: إن نسبة أكبر من النساء الفرنسيات والأوروبيات أصبحن مقتنعات بأنهن خسرن أمومتهن وأنوثتهن على مدى الخمسين سنة الماضية، في الوقت الذي زادت فيه أعباؤهن المادية والمعنوية. ومضت تقول: إن المرأة الغربية ظلت مطالبة بالمشاركة المادية على قدم المساواة، في الوقت الذي مازال الرجل ينظر إليها ويتعامل معها على أنها سلعة ترفيهية – سواء في العمل أو في المنزل –، ناهيك عن أن المجتمعات الصناعية الغربية استخدمت المرأة لتحقيق أرباح أكبر، عن طريق دمجها بسوق العمل، مع

---

(١) المرأة بين الفقه والقانون - مصطفى السباعي ، ص٣١٥ .

منحها أجوراً أقل بكثير من تلك التي يحصل عليها الرجل. وقالت: إنه نظراً لوجود علاقة بين ما يدفعه رب العمل وبين جنس العامل، فإن تفضيل النساء في مهن عديدة دفع بكثير من الرجال خارج سوق العمل، مما ساهم في رفع حجم البطالة في المجتمعات الغربية.

وأشارت إلى أن معظم المجتمعات الغربية تعاني من نسب بطالة متقاربة في حدود ٩ و ١٢%، وهي تكاد تكون في غالبيتها موزعة بين أوساط الشباب خاصة والذكور بشكل عام؛ مما ساهم في إحداث اضطرابات خطيرة في المجتمعات الصناعية الغربية على الصعيد الاجتماعي، بما يهدد الاستقرار السياسي على المدى القصير والمتوسط، حسب تقديرات علماء الاجتماع والساسة في تلك الدول. وأوضحت أنه بالرغم من أن الحرب العالمية الثانية فجرت ما يسمى (قضايا تحرير المرأة في المجتمعات الغربية)، إلا أن تلك الحركات التي بدأت في التأكيد على حق الأنثى في التعليم والعمل، وانتهت بحقها في إقامة العلاقات الإباحية مع من تشاء دون ضوابط من دين أو أخلاق، هذه الحركات أصيبت بضربة قاصمة في الآونة الأخيرة بضغط من الشارع السياسي، ونزولاً عند الإفرازات الاجتماعية الضارة، التي تهدد استقرار وكيان هذه المجتمعات.

وبينت - هذه الصحيفة الفرنسية - أن الرجل الفرنسي في الوقت الحالي لا يستطيع قبول امرأة تشاركه مسكنه - حتى ولو كانت هذه العلاقة خارج إطار الزوجية - إذا كانت هذه المرأة غير قادرة على مشاركته - بشكل متساو - في كامل المصروفات المنزلية. وتساءلت: كيف يمكن لامرأة أن تعيش في ظل رجل يعتمد بشكل تام على ما تنتجه المرأة من خلال عملها خارج البيت، ويتخلى عنها في الوقت الذي تسوء فيه أحوالها المادية، إذا ما تعرضت للفصل من العمل؟؟.

وأخيراً اختتمت هذه الصحيفة تقريرها بقولها: إن المجتمعات الغربية إذا ما كانت محتاجة لعودة المرأة إلى البيت فعليها أن ترتب لهذه التغيرات، من خلال إحداث تغيرات في شخصية ومفاهيم الرجل الغربي، ودفع التعويضات المناسبة للمرأة التي تتخلى عن عملها لصالح أسرتها؛ وذلك حتى تبقى كرامة المرأة محفوظة في هذه الأسرة)[1] .

---

(١) المسلمون العدد (٥٤٩) ، تاريخ ١٩٩٥/٨/١١م .

الخاتمـــــة:

بعد هذه الدراسة الموجزة حول « المرأة المسلمة بين حق التعليم وضرورة العمل» نستطيع أن نستخلص النتائج التالية:

١) إن المرأة قبل الإسلام كانت تعيش بين مد وجزر مقدسة عند القلة النادرة، وفي غالب أحوالها كانت تعيش عند الغالبية العظمى من الأمم ممتهنة محتقرة مهانة تباع وتشترى مجردة من أدنى حتى حقوق الإنسانية وظلت على هذه الحال حتى جاء الإسلام فانتشلها من الوحل والوأد والاحتقار والذل الذي كانت تعيشه، فرفع من مكانتها وأعطاها كل حقوقها وأخذت دورها في المجتمع الإسلامي واحتلت مكانتها السامية أماً وزوجاً وبنتاً وأختاً وخالةً وعمةً... الخ .

٢) قرر الإسلام أن لكل من الرجل والمرأة حقوقاً متساوية تتمثل في الكرامة الإنسانية والمساواة في الحقوق وخاصة في مجال العقود والتصرفات والمجال الاقتصادي ومجال الحقوق الاجتماعية والمدنية والمساواة في الأهلية والعبادة وفي الثواب والعقاب وحق الحياة واحترام الرأي والحرية.

٣) ساوى الإسلام بين الذكر والأنثى في حق التعليم والتثقيف حين أعطى المرأة الحق نفسه الذي منحه للرجل، وحث عليه الدين، وأقرته الحضارة الإسلامية.

٤) إن الإسلام لم يمنع خروجها للعمل خارج البيت وسمح لها بالعمل في كافة المجالات المشروعة عندما تكون أسرتها بحاجة لرعايتها كأن يتوفى زوجها أو معيلها أو تستجد ظروف تجبرها على العمل شريطة أن تعمل في المجالات التي تناسب تكوينها النفسي والبنيوي ولها أن تمارس دورها في التنمية وتسهم في تقدم الأمة بشرط أن تبقى محتشمة وتتجنب الخلوة بالرجال من غير المحارم لصيانة عرضها وكرامتها.

٥) يتم تحقيق المرأة لذاتها واحترام الآخرين لها من خلال قيامها بواجباتها كربة منزل واحترامها لزوجها وتربية أطفالها، وأنها تحس بوجودها وكبريائها من خلال مستوى تحصيلها العلمي واهتمامها بمظهرها والمحافظة على أنوثتها وشرفها وأخلاقها.

٦) يعزى خروج المرأة الغربية للعمل لعدة أسباب منها عدم الإنفاق عليها من والدها وخاصة بعد وصولها سن البلوغ، وكذلك ما خلفته الحربان العالميتان من مآسى تمثلت

في فقد الآباء والأزواج فوجدت المرأة نفسها بلا معيل مما حدا بها إلى أن تقتحم ميادين العمل مكرهة لسد حاجتها ولتوفير أسباب العيش وصيانة نفسها من الضياع.

٧) إن مساوئ عمل المرأة خارج بيتها كثيرة متعددة سواء عليها أو على زوجها أو أولادها أو المجتمع وبذلك تكون المرأة قد ظلمت نفسها وغيرها حينما خرجت للعمل خارج البيت دون حاجة مما أدى إلى المناداة برجوع المرأة إلى البيت لأنه هو الأفضل لها وللمجتمع.